

الأمثل في تفسير كتاب الأمان المنزل

[203] أَنْ سَأَلَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ. ولا ينحصر الأمر بتوقُّف قبول التوبة على قبول الأمان لها، بل إنَّه تعالى هو الذي يأخذ الزكاة والصدقات الأخرى التي يعطيها العباد تقرباً إليه، أو تكفيراً لذنوبهم: (ويأخذ الصدقات). لا شكَّ في أنَّ الذي يأخذ الزكاة هو النَّبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أو الإمام المعصوم(عليه السلام) أو خليفة المسلمين وقائدهم، أو الأفراد المستحقون، وفي كلِّ هذه الأحوال فإنَّ الأمان تبارك وتعالى لا يأخذ الصدقات ظاهراً، ولكن لما كانت يد النَّبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والنواب الحقيقيين يد الأمان سبحانه - لأنَّهم خلفاء الأمان ووكلاؤه - قالت الآية: إِنَّ الأمان يأخذ الصدقات. وكذلك العباد المحتاجون، فإنَّهم يأمر الأمان يأخذون مثل هذه المساعدات، وهم في الحقيقة وكلاء الأمان، وعلى هذا فإنَّهم يد الأمان أيضاً. إِنَّ هذا التعبير من أطفى التعبيرات التي تجسّد عظمة هذا الحكم الإسلامي - أي الزكاة - فبالرغم من ترغيب كلِّ المسلمين ودعوتهم إلى القيام بهذه الوظيفة الإلهية الكبيرة، فإنَّها تحذرهم بشدَّة وتأمّرهم بأن يراعوا الآداب الإسلامية ويتقيّدوا باحترام من يؤدونها إليه، لأنَّ من يأخذها هو الأمان عزَّ وجلَّ، وإنَّما حذرتهم حتى لا يتصور بعض الجهال، أنَّه لا مانع من تحقير المحتاجين، أو إعطائه الزكاة بشكل يؤدي إلى تحطيم شخصية آخذ الزكاة، بل بالعكس عليهم أن يؤدوها بكلِّ أدب وخضوع، كما يوصل العبد شيئاً إلى مولاه. ففي رواية عن النَّبي(صلى الله عليه وآله وسلم): "إِنَّ الصدقة تقع في يد الأمان قبل أن تصل إلى يد السائل"(1) وفي حديث آخر عن الإمام السَّجاد(عليه السلام): "إِنَّ الصدقة لا تقع في يد العبد حتى تقع في يد الرِّب"(2). بل إِنَّ رواية صرّحت بأنَّ كلَّ أعمال ابن آدم تتلقاها الملائكة إلاَّ الصدقة، فإنَّها _____ (1) مجمع البيان، ذيل الآية. (2) تفسير العياشي، على ما نقل في تفسير الصافي في ذيل الآية.